

روح المعاني

وكافرهم قبل هذه النشأة بما هو أهم الأمور والأصل الأصيل لجميع التكاليفات على وجه خال مما يشبه الإكراه متضمن لإلزام المشركين المعصرين له صلى الله عليه وسلم ورفع احتجاجهم ما كانوا بعد الإشارة إلى أخذ ميثاق من قوم مخصوصين في هذه النشأة على وجه هو أشبه الأشياء بالإكراه بما الظاهر فيه أنه من الأعمال لأن القوم إذ ذاك كانوا مفرين بالربوبية بل بها وبرسالة موسى عليه السلام فلم يكن حاجة إلى نتق الجبل فوقهم لذلك ولو قال قائل : إن ذكر ذلك خلال الآيات المتعلقة باليهود من باب الإستطراد والمناسبة فيه ظاهرة لم يبعد لكن الأول وهو الذي جرى عليه أكثر متأخري المفسرين أي واذكر لهم أو للناس إذ أخذ ربك من بني آدم المراتب بهم الذين ولد لهم مؤمنين كانوا أو كفارا نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الأسباب وتخصيصهم بأسلاف اليهود الذين أشركوا بالله تعالى حيث قالوا مما لا يكاد يلتفت إليه .

وإيثار الأخذ على الإخراج للإيدان بشأن المأخوذ إذ ذاك لما فيه من الأنباء عن الأجتباء والإصطفاء وهو السبب في إسناده إلى اسم الرب بطريق الإلتفات مع ما فيه من التمهيد للإستفهام الآتي وإضافته إلى ضميره E للتشريف وقيل : إن إيثار الأخذ على الإخراج لمناسبة ما تضمنته الآية من الميثاق فإن الذي يناسبه هو الأخذ دون الإخراج والتعبير بالرب لما أن ذلك الأخذ بإعتبار ما يتبعه من آثار الربوبية وإستأنس بعضهم بمغايرة أسلوب هذا الكلام بما فيه من الإلتفات لما قبله من قوله سبحانه وتعالى : وإذ نتقنا ولما عبده من قوله تعالى : واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا لكونه استطراديا وقوله تعالى : من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل بتكرير الجار كما في قوله سبحانه وتعالى : للذين استضعفوا لمن آمن وقيل : بدل إشتمال وإليه ذهب أبو البقاء وبينه بعضهم بأن بدل الإشتمال ما يكون بينه وبين المبدل منه ملابسة بحيث توجب النسبة إلى المتبوع النسبة إلى التابع إجمالا نحو أعجبنى زيد علمه فإنه يعلم ابتداءً أن زيدا معجب بإعتبار صفاته لا بإعتبار ذاته وتتضمن نسبة الإعجاب إليه نسبه إلى صفة من صفاته إجمالا ونسبة الأخذ الذي هو بمعنى الإخراج هنا إلى بني آدم نسبة إلى ظهورهم إجمالا لأنه يعلم ابتداءً أن بني آدم ليسوا مأخوذين بإعتبار ذواتهم بل بإعتبار أجسادهم وأعضائهم وتتضمن نسبة الأخذ إليهم نسبه إلى أعضائهم إجمالا وادعى أن القول به أولى من القول ببديل البعض لأن النسبة إلى المبدل منه الكل تكون تامة وتحصل بها الفائدة بدون ذكر البديل نحو أكلت الرغيف نصفه فإن النسبة تامة لو لم يذكر النصف ولا شك أن النسبة هنا ليست تامة بدون ذكر البديل وأيضا أن الظهور

ليس بعض بني آدم حقيقة بل بعض أعضائهم ولا يخفى ما في ذلك من النظر و من في الموضوعين إبتدائية وفيه مزيد تقرير لإبتناؤه على البيان بعد الإبهام والتفصيل غب الإجمال قيل : وتنبيه على أن الميثاق قد أخذ منهم وهم في أصلاب الآباء ولم يستودعوا في أرحام الأمهات وقوله تعالى : ذريتهم مفعول أخذ آخر عن المفعول بواسطة الجار لإشتماله على ضمير راجع إليه فيلزم بالتقديم رجوع الضمير إلى متأخر لفظا ورتبة وهو لايجوز إلا في مواضع ليس هذا منها ولمراعاة اصالته ومنشئيته ولما مر غير مرة من التشويق إلى المؤخر وقرأ نافع وأبو عمر وابن عامر ويعقوب ذرياتهم والمراد أولادهم على العموم ومن خص بني آدم بأسلاف اليهود على ما مر خص هذا بأخلافهم وفيه ما فيه والإشكال المشهور هو أن كل الناس يصدق عليه بنو آدم وذريته فيتحذ المخرج والمخرج منه مدفوع بظهور أن المراد إخراج